لا يوفق لك أن تجيب عن الأول بأن من الواضح أن سوى كغير ولا تتعرف
بالإضافة إذا وقعت بين ضدين بل قال جماعة لا تتعرف بها مطلقا
وأن أل في العاصي للعهد الذهني فهي للجنس على حد: ولقد أمر
على اللئيم يسبني. فيراعى فيها التنكير تارة والتعريف أخرى
وحينئذ زال الحصر الموهم مفهومه ما مر وصار المعنى وما
سوائي عاصيا بل أنا العاصي وحدي وعن الثانية بأن الناس مختلفين
على أقسام فمنهم من يغلب عليه الحياء والخجل من ارتكابه ما كان
سببا لسؤاله فيستتر نفسه حياء ويخجل من المواجهة بالتصريح
بارتكاب القبائح ويستتر أو احتشاما من اعترافه بالقبائح
والفضائح خشية من أن يظهر عليه ما يعير بسبب سؤاله فيكون
مقتضيا لحرمانه والناظم رحمه الله تعالى لمزيد إجلاله للنبي
صلى الله عليه وسلم راعى ذلك فنكر نفسه وذكر الوصف المقتضي
لسؤاله على جهة الإبهام لا التفصيل حياء من أن يبين نفسه
أو معصيتها فيكون ذلك سببا لرده تفخيمه لا أزلة أن تطلب
أن ما ذكره الناظم هنا من أن سبب التنكير قد يكون للاستحياء
هل صرح به أحد غيره حتى وجد ثم صرحوا بما يقرب منه وهو
قولهم لكل من التعريف والتنكير مقام لا يليق بالآخر فمن أسباب
التنكير إرادة الوحدة نحو وجاء رجل من أقصا المدينة يسعى
أي وحدة أو إرادة النوع نحو هذا ذكر أي نوع من الذكر وعلى او

ابصارهم

أبصارهم غشاوة أي نوع غريب من الغشاوة لا يتعارفه الناس
بحيث غطا ما لا يغطيه شيء من الغشاوات ومما يحتملهما والله
خلق كل دابة من ماء أي كل نوع منها من كل نوع من أو كل فرد من
أفراد النطفة إرادة التعظيم بمعنى أنه أعظم من أن يعين ويعرف
نحو فأذنوا بحرب من الله ورسوله ولهم عذاب أن لهم جنات
وسلام عليه إرادة التكثير نحو إن لنا لأجرا أي وأجرا جليلا أو إرادة او
التقليل نحو ورضوان من الله أكبر أي رضوان قليل منه أكبر من
الجنات بأسرها إرادة التحقير بمعنى انحطاط شأنه إلى حد او
لا يمكن أن يعرف نحو من أي شيء خلقه أي من شيء حقير مهين
ثم بينه بقوله تعالى من نطفة خلقه وهذا المعنى يقرب من الاستحياء
الذي ذكره الناظم وهنا قاعدة يعم نفعها وهي أن الاسم
إذا ذكر مرتين فإن كانا معرفتين فالثاني عين الأول غالبا لدلالة
على المعهود الذي هو الأصل في اللام أو الإضافة نحو اهدنا الصراط
المستقيم صراط الذين أو نكرتين فالثاني غير الأول غالبا وقد
اجتمعا في فإن مع العسر يسرا إن مع العسر يسرا قال صلى الله
عليه وسلم لن يغلب عسر يسرين فهو تصريح بما ذكر في القسمين
الأولين أو أنكرة فقط فكالقسم الأول نحو رسولا فعصى فرعون
الرسول أو عكسه حكمت القرائن ونقضت هذه القاعدة وفي
بآيات كثيرة نحو هل جزاء الإحسان أي العمل إلا الإحسان أي الثواب